

تذكير المسلم
بفضل خلق الحلم

حقوق الطبع لكل مسلم
الطبعة الأولى
١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م

دار الإمام البخاري

قطر - الدوحة

جوال: +٩٧٤٥٥٧٢٠٠٥٨

فاكس: +٩٧٤٤٤٦٨٥٥٨٨

Email: albukharibooks@gmail.com

تذكير المسلم بفضل خلق الحلم

بقلم
أبي عبد الله حمزة النايبي

قال معاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (ما وَضَعَ الحِلْمُ عن شريفٍ شَرَفَهُ ، ولا زاده إلا كرمًا) .

البداية و النهاية (٨/١٣٥) .

وقال الشيخ السعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : (ومن فوائد هذا المقام الجليل - أي خلق الحلم - : أن صاحبه مستريح القلب ، مطمئن النفس ، قد وَطَّنَ نفسه على ما يصيبه من الناس من الأذى ، وقد وَطَّنَ نفسه أيضا على إيصال النفع إليهم بكل مقدوره ، وقد تمكن من إرضاء الكبير والصغير والنَّظِير ، وقد تحمَّلَ مَنْ لا تحمِلُهُ من ثقله الجبالُ ، وقد خَفَّتْ عنه الأثقال ، وقد انقلب عدوه صديقًا حميمًا ، وقد أَمِنَ من فلتات الجاهلين ، ومضرة الأعداء أجمعين ، وقد سَهَّلَ عليه مطلوبه من الناس ، وتيسر له نُصَحهم وإرشادهم) .

فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد والأخلاق والأحكام (ص ١٣٠)



مقدمة المؤلف

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله
من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل
له، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن
محمدًا عبده ورسوله ﷺ .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ
مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ
اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۖ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

لقد حثنا نبينا ﷺ على التحلي بالأخلاق الحسنة والآداب الرفيعة، وجمع بينها وبين التقوى، فقال ﷺ: «أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ، تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ»^(١).

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله معلقا على هذا الحديث : (جمع النبي ﷺ بين تقوى الله وحسن الخلق؛ لأن تقوى الله تصلح

(١) رواه الترمذي (٢٠٠٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وحسنه العلامة الألباني رحمه الله.

ما بين العبد وبين ربه ، وحسن الخلق يصلح ما بينه وبين خلقه ، فتقوى الله توجب له محبة الله ، وحسن الخلق يدعو الناس إلى محبته ^(١) .

وانطلاقاً من هذا الحث كان من أصول أهل السنة والجماعة الدعوة إلى مكارم الأخلاق والتمسك بها .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ : (ويأْمرون بالصبر عند البلاء ، والشكر عند الرخاء ، والرضا بِمُرِّ القضاء ، ويدعون إلى مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأعمال ، ويعتقدون معنى قوله ﷺ : «أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا» ^(٢)) ^(٣) .

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ : (فينبغي أن يكون هذا الحديث دائماً نُصَبَ عَيْنِ المؤمن ، لأن الإنسان إذا علم بأنه

(١) الفوائد (ص ٨٤) .

(٢) رواه أبو داود (٤٦٨٢) والترمذي (١١٦٢) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وصححه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ .

(٣) العقيدة الواسطية (ص ٤١) .

لن يكون كامل الإيمان إلا إذا أَحَسَّنَ خُلُقَهُ كان ذلك دافعا له على التخلق بمكارم الأخلاق ومعالي الصفات وترك سَفَاسِفِهَا وردئِهَا (١).

وإنَّ مِنْ أرفع الأخلاق الكريمة وأرقى الخصال الجميلة أيها الأحبة، خُلُقًا يحبه الله جلَّ وعلا، ورسوله ﷺ وكل المؤمنين، من ناله فاز بأجر عظيم، عند رب سبحانه كريم، ألا وهو: خلق (الحلم) (٢).

قال نبينا ﷺ لأشَجَّ عبدِ القيس (٣) رَضِيَ عَنْهُ : «إِنَّ فِيكَ

(١) مكارم الأخلاق للشيخ ابن عثيمين (ص ١٠).

(٢) قال الراغب الأصفهاني رَضِيَ عَنْهُ : (الحلم ضبط النفس والطبع عن هيجان الغضب). المفردات (ص ١٢٩).

(٣) المنذر بن عائذ العَصْرِي رَضِيَ عَنْهُ صحابي جليل وفد على النبي ﷺ مع وفد عبد قيس، ويقال: كان سيدهم، نزل البصرة ومات بها. تهذيب الكمال للمزي (٢٨/٥٠٢)، والإصابة (٦/١٧٠) وتهذيب التهذيب لابن حجر (٤/١٥٣).

خَصَلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاءُ» (١) (٢).

نعم كيف لا يحب الله جل وعلا خلق الحلم؟! ومن أسمائه
الكريمة اسم الحليم (٣).

(١) الأناة: هي الثبوت - أي في الأمور -، وترك العجلة. شرح النووي على
مسلم (١٨٩/١).

(٢) رواه مسلم (١٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٣) ورد اسمه سبحانه (الحليم) في القرآن الكريم إحدى عشرة مرة، ومن
ذلك:

قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ
حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

وقوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنْ تَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ
شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧].

كما جاء ذكر اسمه سبحانه (الحليم) في دعائه ﷺ عند الكرب، ومنه:
«لا إله إلا الله العظيم الحليم...» رواه البخاري (٦٣٤٥)، ومسلم
(٢٧٣٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

أما معنى اسم الحليم في حق الله سبحانه، فيقول الإمام الطبري رحمته الله:

= (يعني أنه ذو أناة، لا يعجل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم). تفسير الطبري (٢/ ٣٢٧).

يقول الإمام ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ فِي نُونِيته (٢/ ٢٢٧):

وهو الحليم فلا يعاجل عبده بعقوبة ليتوب من عصيان
قال الشيخ خليل الهراس رَحِمَهُ اللهُ فِي شرحه للنونية (٢/ ٨١): (ومن
أسمائه سبحانه) (الحليم). . ، فالحليم الذي له الحلم الكامل الذي وَسَّعَ أهل
الكفر والفسوق والعصيان، أمهلهم ولم يعاجلهم بالعقوبة، رجاء أن يتوبوا،
ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها منهم).

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ : (الحليم الذي له الحلم الكامل، والذي وسع
حلمه أهل الكفر، والفسوق، والعصيان، ومنع عقوبته أن تحل بأهل الظلم
عاجلاً، فهو يمهّلهم ليتوبوا، ولا يمهّلهم إذا أصرّوا واستمروا في طغيانهم،
ولم ينيبوا.

والحليم الذي يُدِرُّ على خلقه النعم الظاهرة والباطنة مع معاصيهم وكثرة
زلاتهم، فيحلم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويستعذبهم كي يتوبوا،
ويمهلهم كي ينيبوا.

والله تعالى حليم عفو، فله الحلم الكامل، وله العفو الشامل. ومُتَعَلِّقٌ
هذين الوصفين العظيمين معصيةً العاصين، وظلم المجرمين، فإن الذنوب
تقتضي تَرْتُّبَ آثارها عليها من العقوبات العاجلة المتنوعة، وحلمه تعالى =

ومن صفاته العظيمة سبحانه صفة الحلم ^(١)، فحلمه سبحانه كامل ليس كحلم المخلوقين، حيث وسع السماوات والأرض، ووسع الكافر والفاسق، حيث أمهلهم ليتوبوا ولم يُعاجلهم بالعقوبة مع أنه ﷻ قادر عليهم، ولو شاء لأخذهم بذنوبهم فور صدورها.

= يقتضي إمهال العاصين، وعدم معاجلتهم ليتوبوا، وعفوه يقتضي مغفرة ما صدر منهم من الذنوب خصوصاً إذا أتوا بأسباب المغفرة من الاستغفار، والتوبة، والإيمان، والأعمال الصالحة، وحلمه وسع السماوات والأرض، فلو لا عفوه ما ترك على ظهرها من دابة، وهو تعالى عفوي يحب العفو عن عباده، ويجب منهم أن يسعوا بالأسباب التي ينالون بها عفوه من السعي في مرضاته، والإحسان إلى خلقه.

ومن كمال عفوه أن المسرفين على أنفسهم إذا تابوا إليه غفر لهم كل جرم صغير وكبير، وأنه جعل الإسلام يُجِبُّ ما قبله، والتوبة تُجِبُّ ما قبلها).
الحق الواضح المبين (ص ٥٥).

(١) وهي صفة ذاتية ثابتة له سبحانه جاءت بها نصوص الكتاب والسنة كما تقدم، لا يشبهه فيها أحد من المخلوقين مهما بلغ حلمه، لأنه جل وعلا ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قال الشيخ العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ : (وسبحان الحليم، الذي لا يعاجل العاصين بالعقوبة، بل يعافهم ويرزقهم، كأنهم ما عَصَوْهُ مع قدرته عليهم) ^(١).

ففضل خلق الحلم

إن المتحلي بخلق الحلم قدوته في ذلك الأنبياء والصحابة والصالحون، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤]

قال الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ﴾ أي: رَجَّاع إلى الله في جميع الأمور، كثير الذكر والدعاء والاستغفار والإنابة إلى ربه ﴿حَلِيمٌ﴾ أي: ذو رحمة بالخلق وصفح عما يصدر منهم إليه من الزلات، لا يستفزه جهل الجاهلين ولا يقابل الجاني عليه بجرمه، فأبوه قال له: ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ وهو يقول له: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي﴾، فعليكم أن

(١) تفسير السعدي (ص ٧٩٠).

تقتدوا به ، وتتبعوا ملة إبراهيم في كل شيء (١) .

وكذلك كان نبينا ﷺ من أحلم الناس وأحسنهم أخلاقاً ، فعن أنس رَضِيَ عَنْهُ قال : (كنت أمشي مع النبي ﷺ وعليه بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ (٢) غَلِيظُ الْحَاشِيَةِ ، فَأَدْرَكُهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَذَبَهُ جَذْبَهُ شَدِيدَةً ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ أَثَرَتْ بِهِ حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَذْبَتِهِ ، ثُمَّ قَالَ : مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ ، فَالْتَفَتُ إِلَيْهِ فَضَحِكَ ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعِطَاءٍ) (٣) .

قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ : (وفيه : لطف رسول الله ﷺ وحلمه وكرمه ، وأنه لعلی خلق عظيم) (٤) .

يقول الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ : (فانظر إلى هذا الخلق الرفيع ؛ لم يوبّخه النبي ﷺ ، ولم يضربه ، ولم يَكْهَرْ - أي لم

(١) تفسير السعدي (ص ٣٥٣) .

(٢) أي ثوب من نجران .

(٣) رواه البخاري (٥٤٧٢) واللفظ له ، ومسلم (١٠٧٥) .

(٤) عمدة القاري (٧٣ / ١٥) .

ينتهره برفع الصوت عليه - في وجهه، ولم يعبس؛ بل ضحك ﷺ ومع هذا أمر له بعتاء، ونحن لو أن أحداً فعل بنا هذا الفعل ما أقررناه عليه؛ بل لقاتلناه، وأما الرسول ﷺ الذي قال الله فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الفلم: ٤]، فإنه التفت إليه وضحك إليه، وأعطاه العطاء، وهكذا ينبغي للإنسان أن يكون ذا سعة، وإذا اشتد الناس أن يسترخي هو (١).

وكذلك أصحابه رضوان الله عليهم بعده كان يُضرب المثل بحلمهم وعفوهم عن الناس، ومنهم معاوية رضي الله عنه (٢)،

(١) شرح رياض الصالحين (٣/ ٦٠٧).

(٢) لقد كان يضرب بهذا الصحابي الجليل رضي الله عنه المثل في الحلم والعفو عن الناس، يقول رضي الله عنه حاثاً على هذا الخلق الكريم: (لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي حتى يغلب حلمه جهله، وصبره شهوته، ولا يبلغ الرجل ذلك إلا بقوة الحلم). البداية والنهاية (٨/ ١٣٥).

وقد ألف الحافظ ابن أبي الدنيا رحمه الله كتاباً في حلم معاوية رضي الله عنه، (وقد طبع هذا الكتاب في دار البشائر بدمشق/ تحقيق إبراهيم صالح).

ومما يروى عنه **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ، أن رجلاً أسمعته كلاماً سيئاً شديداً ،
فقليل لمعاوية **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** : لو سَطَوْتَ عليه ، فقال : (إني لأستحي
من الله أن يَضِيقَ حِلْمِي عن ذَنْبِ أَحَدٍ من رِعَيْتِي) ^(١) .

وكذلك ممن كان يضرب به المثل في الحلم والسؤدد
الأحنف بن قيس التميمي ^(٢) **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ، فيذكر أن رجلاً

(١) البداية والنهاية (١٤٥ / ٨) .

(٢) الأمير الكبير ، و العالم النبيل ، أبو بحر التميمي ، كان سيد بني تميم ،
أسلم في حياة النبي **ﷺ** ولم يره ، ووفد على عمر **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** ، وروى عنه .
والأحنف لقبه ، واسمه الضحاك ، وقيل : لُقِّبَ بالأحنف ، لأنه كان
أحنف الرجلين .

قال الحسن البصري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (ما رأيت شريف قوم كان أفضل من
الأحنف) . الطبقات الكبرى لابن سعد (٩٣ / ٧) .

قال الأحنف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (ذهبت عيني منذ أربعين سنة ما شكوتها إلى أحد) .
تهذيب الكمال للمزي (٢٨٥ / ٢) .

أخرج له أصحاب الكتب الستة ، قال ابن سعد **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** : (كان ثقة مأمونا
قليل الحديث) . الطبقات الكبرى (٩٣ / ٧) .

قيل : توفي **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** سنة سبع وستين (٦٧ هـ) ، وقيل : سنة إحدى وسبعين =

خاصمه، فقال: (لئن قلت واحدةً لَتَسْمَعُنَّ عَشْرًا) فقال الأحنف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (لكنك إن قلتَ عشرًا لم تَسْمَعْ واحدة) ^(١).

يقول الشيخ السعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (هذا خُلُقٌ من ظفر به وحازه فقد فاز بالخط العظيم، وأن لصاحبه عند الله المقامات العالية والنعيم المقيم) ^(٢).

أيها الكرام: بعد أن عرفتُم معنى هذا الخلق الكريم، وأنه من صفات رب العالمين، ومن سمات الأنبياء والصالحين، قد تتساءلون - زادكم الله حرصاً - عن أهم الأسباب المعينة لنا على كسب الأخلاق الفاضلة على وجه العموم وهذا الخلق العظيم على وجه الخصوص، بإذن الله. فهي كالتالي نفعمكم الله بها:

= (٧١هـ)، وقيل: سنة اثنتين وسبعين (٧٢هـ) بالكوفة.

وللوقوف على ترجمة موسعة له رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يرجع لتاريخ دمشق للحافظ ابن عساكر (٢٤/٢٩٨)، وسير أعلام النبلاء (٤/٨٦) وتاريخ الإسلام (٣/١٢٩) للإمام الذهبي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. ^(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (٤/٩٣). ^(٢) تيسير اللطيف المنان (ص ٢٢٢).

الأسباب المعينة على كسب خلق العلم

١ - سؤال الله جل وعلا أن يرزقنا محاسن الأخلاق ومنها خلق الحلم، وأن يصرف عنا سيئها ومنها خلق الغضب، ولقد علمنا نبينا ﷺ ما نقوله في هذا الباب: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ» ^(١).

٢ - مجاهدة النفس وتربيتها على التحلي بمحاسن الأخلاق، لأن الأخلاق الفاضلة يمكن كسبها، وذلك بغرس الفضائل في النفوس وسقيها بماء النصيح، فخلق الحلم قد يكون جبليا، وقد يكون مكتسبا، ولهذا قال نبينا ﷺ لأشج عبد القيس رضي الله عنه بعد أن أخبره أنه يتحلى بخلق الحلم والأناة، فسأله رضي الله عنه، فقال: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا أَتَخَلَّقُ بِهِمَا أَمْ اللَّهُ جَبَلَنِي عَلَيْهِمَا؟ قَالَ: «بَلِ اللَّهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا»، فقال:

(١) جزء من حديث علي رضي الله عنه، رواه الترمذي (٣٤٢٢) وأبو داود (٧٦٠) وصححه العلامة الألباني رحمته الله.

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَبَلَنِي عَلَى خَلَّتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ (١) .

وقال رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : « إِنَّمَا الْعِلْمُ بِالتَّعَلُّمِ ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ ، وَمَنْ يَتَحَرَّ
الْخَيْرَ يُعْطَهُ ، وَمَنْ يَتَوَقَّ الشَّرَّ يُوقَهُ » (٢) .

قال الإمام ابن القيم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (فدل على أن من الخلق ما هو
طبيعة وجبلة وما هو مكتسب) (٣) .

وقال الشيخ ابن عثيمين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : (فهذا دليل على أن
الأخلاق الحميدة الفاضلة تكون طبعاً وتكون تطبعاً، ولكن -
بلا شك - الطبع أحسن من التطبع ، لأن الخلق الحسن إذا
كان طبيعياً صار سجية للإنسان وطبيعة له ، لا يحتاج في
ممارسته إلى تكلف ، ولا يحتاج في استدعائه إلى عناء
ومشقة ، ولكن هذا فضل الله يؤتيه من يشاء ، ومن حُرِمَ هذا

(١) رواه أبو داود (٥٢٢٥) وحسنه الشيخ الألباني رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

(٢) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (١٢٧/٩) من حديث أبي
هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وحسنه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٤٢) .

(٣) مدارج السالكين (٣/٣١٥) .

- أي من حرم الخلق عن سبيل الطبع - فإنه يمكنه أن يناله عن سبيل التطبع^(١).

فلو كان الخلق فقط جِبِلًّا لَتَرَكْتَ المجاهدة واستُغْنِيَ عن الوصايا والمواعظ!.

ولذا قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ : (فإن قلت: هل يمكن أن يقع الخُلُق كسبياً أو هو أمر خارج عن الكسب؟ قلت: يمكن أن يقع كسبياً بالتخلق والتكُلُّف حتى يصير له سَجِيَّةً وَمَلَكَةً)^(٢).

وقد يرد علينا سؤال في هذا المقام، فيقال: عندنا رجل جُبِلَ على خلق حميد، ورجل آخر يجاهد نفسه على التخلق به، فأيهما أعلى منزلة من الآخر؟

يجيبنا الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ فيقول : (إنه لا شك أن الرجل الذي جُبِلَ على الخلق الحسن أكمل من حيث تخلُّقه بذلك، أو من حيث وجود هذا الخلق الحسن فيه، لأنه

(١) مكارم الأخلاق للشيخ ابن عثيمين (ص ١٣).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٣١٥).

لا يحتاج إلى عناء ولا إلى مشقة في استدعائه ، ولا يفوته في بعض الأماكن والمواطن ، إذ إن حسن الخلق فيه سجية وطبع ، ففي أي وقت تلقاه تجده حَسَنَ الخلق ، وفي أي مكان تلقاه تجده حَسَنَ الخلق ، وعلى أي حال تلقاه تجده حَسَنَ الخلق ، فهو من هذه الناحية أكمل بلا شك .

وأما الآخر الذي يجاهد نفسه ويُرَوِّضُهَا على حسن الخلق ، فلا شك أنه يَؤْجِر على ذلك من جهة مجاهدة نفسه وهو أفضل من هذه الجهة ، لكن من حيث كمال الخلق أنقص بكثير من الرجل الأول ، فإذا رُزِقَ الإنسان الخُلُقَيْنِ جميعاً طبعاً وتطبعاً ، كان ذلك أكمل ، والأقسام أربعة :

- من حُرِمَ حسن الخلق طبعاً وتطبعاً .

- من حُرِمَ طبعاً لا تطبعاً .

- من رُزِقَ طبعاً وتطبعاً .

- من رُزِقَ طبعاً لا تطبعاً .

ولا شك أن القسم الثالث هو أفضل الأقسام، لأنه جمع بين الطبع والتطبع في حسن الخلق^(١).

٣- ذكر ثواب الحلم وثماره على العامة والخاصة، واستحضار وزر الغضب وعواقبه السيئة على الفرد والمجتمع، ومن ذلك: كُرُهُ الناس وَيُعْذَهُم عن مجالسته، ويثمر التباغض والتحاسد، بخلاف حسن الخلق فإنه يوجب التحاب والتآلف بين الناس.

٤- مجالسة من عُرِفوا بحسن الخلق ومصاحبتهم، قال ﷺ: «الرَّجُلُ^(٢) عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»^(٣).

(١) مكارم الأخلاق للشيخ ابن عثيمين (ص ١٤-١٥).

(٢) وفي بعض الروايات (المراء).

(٣) رواه الترمذي (٢٣٧٨)، وأبو داود (٤٨٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وحسنه العلامة الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٩٢٧).

قال محمد شمس الحق العظيم آبادي رَحِمَهُ اللهُ : («الرَّجُلُ»
يعني: الإنسان، «عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ» أي: على عادة صاحبه
وطريقته وسيرته، «فَلْيَنْظُرْ» أي: يتأمل ويتدبر، «مَنْ يُخَالِلُ»:
فمن رَضِيَ دينه وخلقه خالَهُ، ومن لا تَجَبَّهْهْ فإن الطباع
سَرَّاقَةٌ» (١).

وقال المباركفوري رَحِمَهُ اللهُ : (الصحة مؤثرة في إصلاح
الحال وإفساده) (٢).

فالصحة كالبيئة إما أن تكون نظيفة أو تكون ملوثة،
فمعاشرة الأخيار تورث النجاح والفلاح، ومصاحبة الأشرار
تورث الشر وتمنع من كسب ما ينفع من العلوم النافعة
والأخلاق الفاضلة، فالطباع مجبولة على التشبه والافتداء.

وقد أمرنا نبينا ﷺ بمؤاخاة أهل الإيمان الأتقياء وحذرنا من
معاشرة أهل السوء الأشقياء، فقال ﷺ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا

(١) عون المعبود (١٣/١٢٣). (٢) تحفة الأحوذى (٧/٤٢).

مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيًّا» ^(١).

قال المُنَاوِي رَحِمَهُ اللهُ: (لأن المطاعمة توجب الألفة وتؤدي إلى الخلطة، بل هي أوثق عُرَى المداخلة، ومخالطة غير التقي يُخِلُّ بالدين ويوقع في الشبه والمحظورات، فكأنه ينهى عن مخالطة الفجار إذ لا تخلو عن فساد، إما بمتابعة في فعل، أو مسامحة في إغضاء عن منكر، فإن سلم من ذلك ولا يكاد، فلا تخطئه فتنة الغير به، وليس المراد حرمان غير التقي من الإحسان؛ لأن المصطفى ﷺ أطعم المشركين، وأعطى المؤلفه المئين بل يُطْعِمُهُ ولا يخالطه) ^(٢).

ويقول الشيخ العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ محذرا من صحبة الأشرار ومخالطتهم: (وهم مضرة من جميع الوجوه على من صَاحَبَهُمْ، وَشَرُّ عَلَى من خالطهم، فكم هلك بسببهم أقوام،

(١) رواه أبو داود (٤٨٣٢) والترمذي (٢٣٩٥) من حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وحسنه العلامة الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) فيض القدير (٦/ ٤٠٥).

وكم قادوا أصحابهم إلى المهالك من حيث يشعرون، ومن حيث لا يشعرون.

ولهذا كان من أعظم نعم الله على العبد المؤمن أن يوفقه لصحبة الأخيار، ومن عقوبته لعبده أن يتتليه بصحبة الأشرار (١).

٥- قراءة سيرة النبي ﷺ ومعرفة كيف كان تعامله مع أصحابه بالتواضع لهم والحلم عليهم والعفو عنهم، لهذا قال الله تعالى فيه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القم: ٤]

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: (إنك: يعني يا محمد، لعل على خلق عظيم لم يتخلق أحد بمثله، في كل شيء؛ خلق مع الله، خلق مع عباد الله، في الشجاعة والكرم وحسن المعاملة وفي كل شيء) (٢).

(١) بهجة قلوب الأبرار للسعدي (ص ٢٢١).

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٥٧).

ولقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن خُلُقِهِ ﷺ فقالت :
 (فَإِنَّ خُلُقَ نَبِيِّ اللَّهِ ﷺ كَانَ الْقُرْآنَ) ^(١) .

قال الإمام النووي رحمه الله : (معناه العمل به والوقوف عند حدوده ، والتأدُّب بِآدَابِهِ والاعتبار بِأَمْثَالِهِ وَقَصَصِهِ ، وَتَدَبُّرُهُ وحسنُ تلاوته) ^(٢) .

قال الشيخ ابن باز رحمه الله : (فهذه الكلمة العظيمة من عائشة رضي الله عنها ترشدنا إلى أن أخلاقه عليه الصلاة والسلام هي اتباع القرآن ، وهي الاستقامة على ما في القرآن من أوامر ونَوَاهٍ ، وهي التخلق بالأخلاق التي مدحها القرآن العظيم وأثنى على أهلها والبعد عن كل خلق ذَمَّه القرآن وعاب أهله ، وهي كلمة جامعة مختصرة عظيمة ، فجدير بأهل العلم من الدعاة والمدرسين والطلبة ، جدير بهم أن يُعَنِّوْا بكتاب الله

(١) رواه مسلم في صحيحه (٧٤٦) .

(٢) شرح النووي على مسلم (٢٦/٦)

وأن يُقبلوا عليه حتى يأخذوا منه الأخلاق التي يحبها الله ﷻ ، وحتى يستقيموا عليها، وحتى تكون لهم خلقاً ومنهجاً يسرون عليه أينما كانوا) (١) .

٦- قراءة تراجم سلفنا الصالح لنعرف ما كانوا عليه من حسن الأخلاق وكريم الأفعال وبعد ذلك نعقد مقارنة بين حالنا وحالهم! لنرى البون الشاسع بيننا وبينهم!، والله المستعان .

فكما لا يُقبل أيها الأحبة من أحد أن يلتزم بأخلاق السلف ويترك معتقدهم، فكذلك لا يسوغ فهم معتقدهم دون الالتزام بسلوكهم وأخلاقهم، فلهذا كان منهج سلفنا الصالح - رضوان الله عليهم - متكاملاً، حيث جمعوا بين سلامة المعتقد وحسن الأخلاق، فعلينا التأسى بهم واقتفاء آثارهم، لنصل إلى ما وصلوا إليه بإذن الله .

(١) مجموع الفتاوى (٧٩/٤) .

الخاتمة

وفي الختام أيها الكرام، مما ينبغي أن نعلمه أن ليس الحليم من ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو رضي بالذل والهوان، وإنما الحليم من كان همه الإصلاح وابتعد عن الغضب المذموم الذي لم يكن بسب انتهاك حرمت الله، وترك الانتصار لذاته وترفع عن شتم الناس ونزّه نفسه عن عيهم ومقابلة السيئة بالسيئة.

ولنتيقن أن الحلم ما يزيد صاحبه إلا رفعة وشرفا ومحبة في قلوب الناس، كما قال معاوية رضي عنه الله : (ما وُضِعَ الحلمُ عن شريف شرفه، ولا زاده إلا كرمًا) ^(١).

فما أحوجنا جميعا للتحلي بهذا الخلق الجميل مع الآخرين، فيكون الحلم في معاملة الحكام مع المحكومين، والدعاة مع المدعويين، والمسؤولين مع الموظفين، والكبار

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٣٥).

مع الصغار، والآباء مع الأبناء، والأزواج مع الزوجات،
وأهل البيوت مع خدمهم.

فالله أسأل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يرزقنا وإياكم
محاسن الأخلاق والأفعال والأقوال، ويُبعد عنا مساوئها،
فهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

وصل اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

أبو عبد الله حمزة النايلى
(الخريطات / قطر)

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الآثار
- فهرس المصادر
- فهرس الموضوعات

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية	الآية	الصفحة
البقرة		
	[٢٦٣] ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَفِيْرٌ حَلِيْمٌ﴾	١١
آل عمران		
	[١٠٢] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾	٧
	[١٥٥] ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُوْرٌ حَلِيْمٌ﴾	١١
النساء		
	[١] ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾	٧
التوبة		
	[١١٤] ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيْمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيْمٌ﴾	١٤
الأحزاب		
	[٧١-٧٠] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيْدًا﴾	٨
الشورى		
	[١١] ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيْعُ الْبَصِيْرُ﴾	١٣

رقم الآية الآية الصفحة

التغابن

[١٧] ﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ﴾

١١

وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾

القلم

٢٦، ١٦

[٤] ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿١﴾﴾



فهرس الأحاديث النبوية

الحديث	الصحابي	الصفحة
أكثر ما يدخل الناس الجنة	أبو هريرة	٨
أكمل المؤمنين إيماناً	أبو هريرة	٩
إن فيك خصلتين يحبهما الله	ابن عباس	١١ - ١٠
إنما العلم بالتعلم	أبو هريرة	٢٠
بل الله جبلك عليهما	الأشج عبد القيس	٢٠
كنت أمشي مع النبي ﷺ	أنس	١٥
الرجل على دين خليله	أبو هريرة	٢٣
فإن خلق النبي كان القرآن	عائشة	٢٧
اللهم أهدني لأحسن الأخلاق	علي	١٩
لا إله إلا الله العظيم الحليم	ابن عباس	١١
لا تصاحب إلا مؤمناً	أبو سعيد الخدري	٢٥ - ٢٤



فهرس الآثار

الأثر	القائل	الصفحة
إنني لأستحي من الله	معاوية	١٧
ذهبت عيني منذ أربعين سنة	الأحنف بن قيس	١٧
ما رأيت شريف قوم	الحسن البصري	١٧
ما وضع الحلم عن شريف شرفه	معاوية	٢٩ ، ٥
لكنك إن قلت عشرا	الأحنف بن قيس	١٨
لا يبلغ الرجل مبلغ الرأي	معاوية	١٦



المصادر المعتمدة

- ١- الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر/ ط . دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٢- البداية والنهاية لابن كثير / ط . إحياء التراث - بيروت .
- ٣- بهجة قلوب الأبرار وقرّة عيون الأخيار في شرح جوامع الأخبار للسعدي / ط . الرشد - السعودية .
- ٤- تاريخ الإسلام للذهبي / ط . دار الغرب .
- ٥- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي / ط . دار الغرب .
- ٦- تاريخ دمشق لابن عساكر / ط . دار الفكر - بيروت .
- ٧- تحفة الأحوذى للمباركفوري / ط . دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٨- تفسير الطبري / ط . عالم الكتب .

- ٩- تفسير السعدي / . ط . مؤسسة الرسالة .
- ١٠- تهذيب التهذيب لابن حجر ، ط . الرسالة .
- ١١- تهذيب الكمال للمزي / ط . الرسالة .
- ١٢- تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن
للسعدي / ط . وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة
والإرشاد - المملكة العربية السعودية .
- ١٣- الحق الواضح المبين للسعدي / ط . دار المعارف
السعودية
- ١٤- السلسلة الصحيحة للألباني / ط . دار المعارف .
- ١٥- سنن أبي داود / ط . المكتبة العصرية - بيروت .
- ١٦- سنن الترمذي / ط . دار الغرب .
- ١٧- سير أعلام النبلاء للذهبي / ط . الرسالة .

- ١٨- شرح نونية ابن القيم لخليل هراس / ط . دار الفاروق- مصر .
- ١٩- شرح رياض الصالحين للشيخ ابن عثيمين / ط . دار الوطن- السعودية .
- ٢٠- صحيح البخاري / ط . دار ابن كثير .
- ٢١- صحيح مسلم / ط . دار إحياء التراث العربي- بيروت .
- ٢٢- الطبقات الكبرى لابن سعد / ط . دار الصادر - بيروت .
- ٢٣- العقيدة الواسطية لابن تيمية/ ط . أضواء السلف- السعودية .
- ٢٤- عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني / ط . دار إحياء التراث - بيروت .

- ٢٥- الفوائد لابن القيم/ ط . دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٢٦- عون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي/ ط .
دار الكتب العلمية - بيروت .
- ٢٧- فتح الرحيم الملك العلام في علم العقائد والتوحيد
والأخلاق والأحكام المستنبطة من القرآن للسعدي / ط . دار
ابن الجوزي - السعودية .
- ٢٨- فيض القدير شرح جامع الصغير للمناوي / ط .
المكتبة التجارية - مصر .
- ٢٩- مجموع فتاوى ابن باز / ط . دار الوطن - السعودية .
- ٣٠- مدارج السالكين لابن القيم / ط . دار الكتاب العربي -
بيروت .
- ٣١- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني / ط .
دار القلم - بيروت .

٣٢- مكارم الأخلاق للشيخ ابن عثيمين / ط . دار الوطن -
السعودية .

٣٣- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج للنووي /
ط . دار المعرفة .

٣٤- نونية ابن القيم / ط . مكتبة ابن تيمية - القاهرة .



فهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة المؤلف	٧
فضل خلق الحلم	١٤
الأسباب المعينة على كسب خلق الحلم	١٩
الخاتمة	٢٩
الفهارس العامة	٣١
فهرس الآيات القرآنية	٣٣
فهرس الأحاديث النبوية	٣٥
فهرس الآثار	٣٧
المصادر المعتمدة	٣٩

